

## الإمام علي الرضا عليه السلام والرحلة الأخيرة

حيدر الجدد

توالت الدراسات التاريخية التي اتخذت من حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مادة لبحوثها حتى أشبعت حياته الطاهرة وسيرته العطرة بحثاً وتنقيباً بين من كتب عنه عليه السلام ضمن موسوعات الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وبين من اتخذ من سيرته بحثاً مستقلاً فاستطاع تسليط الضوء على مفاصل مهمة من حياته المباركة بحيث تمكن من إيجاد عدة تفسيرات للكثير من المواقف الغامضة والأمور المبهمة التي ألفت بظلالها على الكثير من الحقائق فلم تعد واضحة للعيان مما جعل هذه الدراسات فتحةً جديداً وانتصاراً باهراً لنظرية إعادة قراءة التاريخ على تفسير واستنتاج وتحريك النص التاريخي نحو إظهار الحقائق الكامنة داخل النص والتي تم تجميدها رديحاً من الزمن حينما كان النقل الحرفي والتقليدي هو السبيل الوحيد عند الكتاب والمؤرخين.

بناءً على ما تقدم فقد جاءت دراستنا مكتملة لما بدأه الآخرون في البحث والتنقيب، فقد ركزنا في هذه الدراسة عن حركة الإمام الرضا باتجاه بغداد بصحبة الخليفة العباسي المأمون التي كانت آخر رحلة له عليه السلام، ولم يستطع إكمالها حيث انطلق من قصر الخلافة العباسية في مدينة مرو (عاصمة الخلافة)، ثم وصل سرخس وبعدها استشهد في طوس قبل أن يصل بغداد بمسافة طويلة جداً تتخللها عدة مدن.

## أولاً: مرو منطلق الرحلة:

لكي نبدأ من محطة واضحة المعالم، لا بد من أن ننطلق من أول نقطة انطلقت منها الرحلة حيث كان سيد الرحلة الخليفة العباسي يصحبه ولي عهده الإمام الرضا عليه السلام، والفضل بن سهل ذو الرياستين وزير وزراء المأمون وعم زوجته بوران بنت الحسن ابن سهل، وهنا لا بد من التنويه عن أمر غاية في الأهمية وهو التفريق بين المكان الذي استشهد فيه الإمام الرضا والمكان الذي كان مقرراً لعاصمة الحكم العباسي، فالإمام عليه السلام لم يستشهد في مرو عاصمة الدولة العباسية أيام المأمون، وإنما استشهد في طوس ولعل السبب الذي يجعل الناس يعتقدون بأن المرقد الطاهر الذي يتوسط مدينة مشهد الإيرانية اليوم هو ترادف كلمة خراسان لكلمة مشهد، فبعض المصادر التاريخية لم تركز كثيراً على أنّ مرو كانت عاصمة الخلافة العباسية بل تذكر عموماً أنّ خراسان كانت مركزاً للخلافة العباسية، ولتوضيح ذلك يجب أن نبين أن خراسان ليست مدينة او مقاطعة منذ العهود القديمة بل كانت إقليمياً واسعاً يضم عدة حواضر ومدن مهمة خرجت الكثير من العلماء والمحدثين، وكانت المدن المهمة طوس، مرو الكبرى، مرو الصغرى، هرات، بلخ، سرخس، سمرقند، بخارى، وغير ذلك، فتبين أنّ خراسان الكبرى أصبحت اليوم مقسمة بين إيران وأفغانستان وتركمانستان وأوزباكستان، وبما أن مرو تقع في أراضي جمهورية تركمانستان المستقلة عن الإتحاد السوفيتي اليوم، ضمن إقليم ماري (Mary)، فهذا يعني إن إقامة الإمام الرضا عليه السلام لم تكن في مشهد - موضع قبر الإمام الرضا عليه السلام الآن - بل في عاصمة الدولة العباسية - مرو-، على أن مشهد هي جزء من خراسان الكبرى، وكما سيأتي خلال البحث.

ينقل الرواة والمؤرخون على عاصمة الخلافة الإسلامية (مرو) تارة واخرى مرو الشاهجان، علماً أنّ هناك مرو أخرى تدعى بمرو الروذ وهي الصغرى أما مرو الشاهجان فهي مرو الكبرى التي كانت مركز العاصمة، فقد زار دعبل بن علي الحزاعي الشاعر المعروف الإمام الرضا عليه السلام في مرو الكبرى وألقى على مسامعه

الكريمة قصيدته الثائية الشهيرة، وقد أصبحت مرو العاصمة المركزية للدولة الإسلامية بعد ان انتصر المأمون على أخيه الأمين الذي كان يلي أمر غرب البلاد ومركز حكمه في بغداد والمأمون يلي أمر شرق الدولة ومركز حكمه مرو كما رسم ذلك هارون الرشيد قبيل موته.

تعرف مرو الكبرى بمرو الشاهجان، والشاهجان لفظة فارسية معناها (روح الملك) سميت بذلك لجلالته عندهم<sup>(١)</sup>، وقيل موضع رواح الملك في مستقر الملوك<sup>(٢)</sup>، بناها الاسكندر ذي القرنين وقد فتحها المسلمون سنة ٢٢ هـ<sup>(٣)</sup>، وأصبح الأحنف بن قيس والياً عليها<sup>(٤)</sup> ثم توالى الولاة على حكمها في العهدين الأموي والعباسي لغاية دخول المأمون إليها لتصبح أول عاصمة للدولة الإسلامية المترامية الأطراف خارج المحيط العربي، حيث كانت العواصم قبلها (المدينة، الكوفة، دمشق، بغداد) وبانتقال المأمون عادت بغداد عاصمة للدولة ثم ما لبثت حتى ظهرت سامراء مقراً جديداً للحكم العباسي.

حاولت جاهداً من خلال تتبعي للمصادر الحديثة التي تناولت جمهورية تركمانستان وآثارها فلم أجد فيما يخص آثارها ذكراً للقصور العباسية أو قصر المأمون فقد رغبت بتعيين قصر المأمون ليتمكننا معرفة مقر إقامة الإمام الرضا<sup>(عليه السلام)</sup> حيث أقام<sup>(عليه السلام)</sup> بجانب قصر المأمون، ولكن دون جدوى، لحين ما وجدت في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية النص الآتي (... وفي ظاهر باب درستكان من أبواب مرو قصر المأمون وفيه عاش أيام مقامه بمرو)<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكرها ابن الأثير في مقام تعريفه بشخص يلقب بالسنجاني، فقال: نسبة إلى باب سنجان وهي قرية على باب مرو يقال لها درستكان، وبها كان عسكر الإسلام أول ورودهم مرو<sup>(٦)</sup>، وقد ذكراها الطبري والحموي فأطلقا عليها (درسنكان)<sup>(٧)</sup> بتبديل التاء نوناً، والظاهر من كلام ابن الأثير أن عسكر الإسلام كان بها يؤيد ما تبنته دائرة المعارف الإسلامية من تعيين مقر الخلافة في مرو وبالذات في درسنكان أو درسنكان، وقد علق أحد المؤرخين واصفاً مدينة مرو على

مرور الأزمنة بقوله: ( وهكذا تحولت مرو من عاصمة إقليم خراسان وعاصمة القسم الشرقي من الدولة الإسلامية الكبرى إلى عاصمة الدولة كلها إلى ما شاء الله من أحداث إلى بلدة مغمورة) (٨).

بقي شيء يجب أن ننوه عنه خلال متابعتنا بأن الإمام الرضا عليه السلام لم يغادر مرو منذ وروده إليها من المدينة المنورة وحتى خروجه منها مع المأمون عندما سار قاصداً بغداد. بدأت الرحلة في سنة ٢٠٢هـ كما يذكر المؤرخون ولم يعينوا اليوم ولا الشهر الذي خرج به المأمون من مرو، إلا أنه يمكن تخمين ذلك من خلال معرفة قيام العباسيين بخلع المأمون وتكليف إبراهيم بن المهدي بالخلافة في بغداد في محرم ٢٠٢هـ كما ذكرت الروايات (٩)، ولما وصلت الأنباء للمأمون وبعد أخذ ورد ومشاورة اقترح عليه الإمام الرضا الذهاب إلى عاصمة ملك آباءه فاستحسن الفكرة وخرج المأمون أي في الفترة بين (النصف من محرم لغاية أواخر جمادى الآخرة) كان منطلق الرحلة.

خلال سنة ٢٠٢هـ، تزوج المأمون بوران بن الحسن ابن سهل، وزوج أخته أم حبيب للإمام الرضا، ثم زوج أخته أم الفضل محمد بن علي الإمام الجواد عليه السلام، وهي التي قامت بسم الإمام الجواد عليه السلام ببغداد، ولكن السؤال كيف تم تزويج الإمام الجواد عليه السلام من بنت المأمون؟ هل بعث بها المأمون إلى المدينة المنورة وتزوجها الإمام الجواد أو استقدم المأمون الإمام الجواد إلى مرو فزوجه ابنته، أو زوجها للإمام الجواد بعد مقتل أبيه عندما استقر ببغداد وبعث على الجواد فزوجه هناك؟ الظاهر والله العالم إن زواج الإمام الجواد بأم الفضل تم في بغداد بعد استشهاد الإمام الرضا وانتقال المأمون إلى بغداد.

### ثانياً: سرخس:

مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو، في وسط الطريق بينهما وبين كل واحدة منها ست مراحل (١٠). واليوم تقع ضمن

أراضي جمهورية إيران الإسلامية، وتقابلها سرخس أيضاً في الأراضي التركمانستانية.

ذكرت المصادر التاريخية إن بين مرو الشاهجان وسرخس ثلاثون فرسخاً<sup>(١١)</sup>، أي ١٤٤,٨١ كم، ولكن المصادر أغفلت متى دخل المأمون سرخس، وفيها وقعت حادثة مقتل الفضل بن سهل وزير المأمون أثر دخوله الحمام وهجوم ثلاثة رجال عليه بسيوفهم فقتلوه والظاهر أنها كانت مكيدة من قبل المأمون للتخلص من سهل الذي كان يخفي عليه الأخبار ويتستر على ما يجري في بغداد من أمور خطيرة تؤثر على كيان الدولة الإسلامية ككل، وعندما علم المأمون بذلك أراد أن يتخلص في سرخس بالذات من الفضل ابن سهل ومن الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام بحيلة دخول الحمام للتخلص من شؤمة ذلك اليوم ولكن الإمام أبي دخول الحمام فدخله الفضل وفيه قتل وقد أرخ الطبري الحادثة في الثاني من شعبان سنة ٢٠٢ هـ<sup>(١٢)</sup>.

بقي المأمون في سرخس بعد حادثة قتل سهل لغاية يوم الفطر سنة ٢٠٢ هـ، حيث رحل نحو العراق في ذلك اليوم كما ذكر الطبري ذلك، أي بقي المأمون في سرخس مدة شهرين بعد مقتل الفضل بن سهل ثم ارتحل، والظاهر أن الطرق الوعرة والجبلية كانت تفرض على المسافرين أن يسلكوا طرقاً ملتوية ولو كانت المسافة بعيدة لتجنب الجبال العالية مما يجعل وقت التنقل بين الحواضر والمدن طويلاً. وهذا لا يمنع ملاحظة إن تاريخ خروج الركب من سرخس كان في الأول من شوال ٢٠٢ هـ ولغاية استشهاد الإمام في طوس في أواخر صفر سنة ٢٠٣ تبلغ حوالي سنة ونصف وهذا ينصرف إلى أمرين

الأول: أن يكون التاريخ خطأً أي أن استشهاد الإمام الرضا في طوس كان في أواخر صفر سنة ٢٠٢ هـ وليس سنة ٢٠٣ هـ وهذا يمكن القبول به حيث تكون الفاصلة الزمنية حوالي أربعة أشهر، وهي مدة معقولة لكي يسير موكب المأمون من سرخس قاصداً طوس.

الثاني: أن يكون التاريخ صحيحاً وأنّ المأمون مكث فترة طويلة في سرخس يخطط كيف يتخلص من الإمام الرضا خصوصاً بعد فشل مؤامرة الحمام التي أراد بها أن يضرب عصفورين بجر فيتخلص من الفضل والإمام الرضا في آن واحد، وكذلك أراد أن يصفى أمور الدولة ويؤمن طريق رحلته من سرخس إلى طوس، خصوصاً وإن الناس اتهمته في قتل الفضل ابن سهل على الرغم من قتله لقاتلي الفضل ومحاوله التملص من فعلته والتبرؤ أمام أهالي سرخس الذي ينتمي الفضل إلى إحدى أسرها المعروفة.

يعضد الرأي الثاني تغير المأمون على الإمام الرضا فقد ذكرت بعض الروايات أنّ المأمون سجن الإمام فعن أبي عبد السلام بن صالح الهروي قال: (جئت إلى باب الدار التي حُبس فيها الرضا بسرخس وقد قُيد فاستأذنت عليه السجّان، فقال لا سبيل لك إليه) (١٣)، وهذا يدل على تغير المأمون على الإمام فبعد أن جعله ولياً لعهد بدأ الآن بمحاولاته للتخلص من الإمام وإبعاده عن مسرح الحياة السياسية وإلا بماذا نفسر وضع الإمام الرضا تحت الإقامة الجبرية وتقييده ومنع أقرب المقربين إليه؟ وهو أبي الصلت صاحبه وولي سره وأمره؟.

### ثالثاً: طوس:

آخر محطة جمعت الإمام الرضا عليه السلام بالمأمون، وهي مدينة كبيرة بخراسان بينها وبين نيشابور ١٠ فراسخ تشتمل على بلدين يقال لأحدهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت أيام عثمان بن عفان (١٤)، وسناباد قرية من قرى طوس بينها وبين مدينة طوس نحو ميل (١٥)، وقيل هي عن نوقان على دعوة، أي قدر سماع صوت الشخص (١٦).

استغل المأمون مرض الامام الرضا أثناء الطريق إذا أرهقه السفر وعناء الطريق، حيث تقول الرواية: (وفي طريق المأمون إلى العراق وقبل وصوله مدينة طوس بسبعة منازل على ما روى الصدوق في العيون عن ياسر الخادم اعتلّ أبو

الحسن الرضا عليه السلام وقال ياسر: إننا دخلنا طوس وقد اشتدت بالإمام العلة فبقينا في طوس أياماً، فكان المأمون يأتيه كل يوم مرتين <sup>(١٧)</sup>، واشتدت علته، وقد ذهب عدد من المؤرخين إلى أن أعراض السم كانت بادية ظاهرة على الإمام عليه السلام.

سنتحت الفرصة حينها للمأمون لقتل الإمام الرضا عليه السلام والتخلص منه إذ وجد في مرض الإمام غاية ما كان يخطط له منذ فشل محاولة قتله في حمام سرخس مع الفضل بن سهل، حيث تمكن من القضاء على الإمام الرضا عن طريق السم الذي كان طريقاً سهلاً بحيث يجعل كثيراً من رجال الدولة وعامة الشعب مقتنعين بأن الإمام مات بفعل مرضه لا بفعل السم الذي سرى بجسده، فأخذ منه أي مأخذ وبذا فقد صفا الوضع للمأمون ووطد علاقته مع آل بيته من العباسيين الذي نعموا عليه وخلعوه ببغداد بعد أن علموا بإقدام المأمون على تعيين الإمام الرضا ولياً لعهد، وعليه سيدخل بغداد بكل ترحيب من العباسيين أنفسهم ومن أتباعهم والمستفيدين من خلافتهم للمسلمين.

لقد شهدت طوس وبالذات قرية سناباد نزول الإمام الرضا فيها مرتين، مرة أثناء طريقه إلى مرو قادماً من المدينة المنورة بعد إشخاصه إليها من قبل المأمون ومرة ثانية كانت الأخيرة حيث أصبحت مثواه الذي طالما ذكره وذكر غربته فيه وأجر من زاره بسناباد، كما ذكر عليه السلام دفنه و هارون الرشيد في موضع واحد.

تشير أغلب الروايات إلى أن الإمام الرضا نزل في بستان حميد بن قحطبة المتوفي في سنة ١٥٩هـ، خلال مروره في سناباد ذهاباً وإياباً، وهي التي أصبحت فيما بعد مرقده المبارك، وسوف نستعرض الروايات التي تذكر ذلك وكما يلي:

١- عن ياسر الخادم، لما نزل أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قصر حميد بن قحطبة نزع ثيابه وناولها حميدا فاحتملها وناولها جارية له لتغسلها، فما لبثت أن جاءت ومعها رقعة فناولتها حميداً وقالت: وجدتها في جيب أبي الحسن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، فقلت: جعلت فداك إن الجارية، وجدت رقعة في جيب قميصك، فما هي؟ قال يا حميد هذه عوذة لا نفارقها، فقلت

لو شرفني بها فقال: هي عوذة من امسكها في جيبه كان مدفوعاً وكانت له حرزاً من الشيطان الرجيم ومن السلطان، ثم أملى علي حميد العوذة وهي... (١٨).

٢- عن أبي الصلت الهروي قال: (لما خرج علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون ... فلما دخل سناباد ... دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ودخل القبة التي فيها قبر هارون الرشيد ثم خط بيده علي جانبه، ثم قال هذه تربتي وفيها ادفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم علي منهم مسلم إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت، ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها فأحصيت له فيها خمسمائة تسيحة ثم انصرف) (١٩).

٣- عن أبي الصلت الهروي، (قال بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، إذ قال لي: يا أبا الصلت ادخل هذه القبة التي فيها قبر هارون وائتني بتراب من أربعة جوانبها، قال: فمضيت فأتيت به، فلما مثلت بين يديه قال لي: ناولني هذا التراب وهو من عند الباب، فناولته فأخذه فشمه ثم رمى به، ثم قال سيحفر لي هيهنا، فتظهر صخرة لو جمع عليها كل معول بخراسان لم يتهياً قلعهما، ثم قال الذي عند الرجل والذي عند الرأس مثل ذلك، ثم قال: ناولني هذا التراب فهو من تربتي وهي من جهة القبلة) (٢٠).

من النصوص السابقة يمكن ان نستنتج ما يلي:

١- فيما يخص النص الأول وقد علمنا بموت حميد بن قحطبة الطائي سنة ١٥٨هـ ووقيل سنة ١٥٩هـ (٢١) أي قبل قدوم الإمام الرضا بجوالي ٤٠ سنة إلى مرو، وهذا الأمر ينسف حادثة لقاء الإمام الرضا بجميد بن قحطبة الطائي، وكيف يمكن للإمام الرضا أن يتصرف مع حميد الطائي وكأنه أحد شيعته ومواليه وهو ربيب العباسيين والجندي الأول في نصرتهم ونصرة دولتهم؟، وهو الذي تلطخت يده بجرائم إبادة جماعية، فقد قتل في ليلة واحدة ستين علويًا (٢٢) بأمر هارون الرشيد

بعد أن أفرغ منهم ثلاثة غرف، يخرج العلوي أثر العلوي فيذبحه ويرمي بجسده ورأسه في البئر حتى أتى على تمام الستين وكان تمامهم شيخاً كبيراً، ومن قبل باء حميد بغضب الله تعالى عندما أجهز على محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط فاحتز رأسه بعد أن طعنه برمح وأثخنه بالجراحات في واقعة أحجار الزيت<sup>(٢٣)</sup>، وغير هذا من الجرائم التي لم يسجلها التاريخ والتي أراد بها حميد هذا التقرب من خلفاء الجور العباسيين الذين سخروا وجندوا العديد من الرجال لتثبيت دعائم حكمهم. فهل بعد ما تقدم من سبب مقنع يجعل الإمام الرضا يميل على مسامح حميد بن قحطبة دعاءً لا يمليه إلا لخواص شيعته ممن عرفوا الحق وتبصروا الطريق؟!.

٢- فيما يخص النص الثاني فقد بين علم الإمام الرضا بأن هذا الموضوع سيكون فيه مرقده المبارك، وأعلم نجيحه وصاحب سره أبا الصلت بذلك، كما جاءت هنا نسبة البستان لحميد بن قحطبة أيضاً، وهنا يجب أن نبين بأن هذه النسبة المطلقة لا صحة لها، نعم تملكها حميد بن قحطبة ولكن نقلت ملكيتها لحميد الطوسي وكما نعرض فيما يلي:

أ- إن هذه الدار أصلاً كانت ضيعةً لأحد ولاة الأمويين على خراسان ويدعى الجنيد بن عبد الرحمن المري، تولى إمارة خراسان سنة ١١١هـ، وبقي بها لغاية وفاته سنة ١١٦هـ<sup>(٢٤)</sup>.

ب- بعد زوال ملك الأمويين وتولي العباسيين زمام الحكم في الدولة الإسلامية وجهوا ولاتهم إلى الأمصار الإسلامية،

بما أن المصادر تشير إلى أن الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup> قد دفن في دار حميد بن قحطبة فلا بأس بأن نلقي نظرة خاطفة على تاريخ هذه الأسرة ودورها في الأحداث. في سنة ١٠٣ وفد جماعة من أهل خراسان إلى منطقة الحميمة<sup>(٢٥)</sup>، محل نزول بني العباس من أجل نصرتهم والدعوة إليهم في خراسان فالتقوا بـ( محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) وبايعوه فأراد محمد هذا أن يجعل بيعته كبيعة رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم العقبة، فاختار منهم اثني عشر رجلاً للدعوة إليه في خراسان وكان بين هؤلاء الاثني عشر رجلاً يدعى زياد بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي<sup>(٢٦)</sup> فأصبح نقيباً وتوثقت علاقته بمحمد بن علي فصار من أصحابه ومن المقربين إليه فاختار له اسماً حركياً (قحطبة) وتفسيرها (هبط الحق) قلبت الكلمة فقالوا: قحطبة ومعنى قحطبة (يقال ضربه وطعنه فقحطبه إذا صرعه وبالسيف علاه)<sup>(٢٧)</sup>. وهذه التسمية لم يسم أحد بها من قبل<sup>(٢٨)</sup>.

عاد قحطبة إلى خراسان مع أصحابه وهناك أخذت الدعوة لبني العباس تنتشر واختار النقباء الإثنا عشر سبعين رجلاً ممن يثقون بهم تم تسميتهم بالدعاة<sup>(٢٩)</sup>.

كان من جملة الدعاة الذين اختارهم قحطبة ولديه حميد، الحسن وعبد الحميد بن ربيعي بن خالد، ابن عم قحطبة.

ت- صحب قحطبة أبو مسلم الخراساني وناصره في إقامة الدولة العباسية بخراسان وقاد جيوش أبي مسلم وكان مظفراً في جميع وقائعه من خراسان إلى العراق وكان أبناؤه (حميد وحسن) وابن عمه (عبد الحميد بن ربيعي الطائي) من جملة القادة الذين يعملون تحت إمرته.

ث- في سنة ١٣٢ هـ أخذت جيوش بني العباس تتقدم نحو العراق بقيادة قحطبة الطائي إلى أن أصيب بجرح في إحدى المعارك مع جيش بني أمية بقيادة ابن هبيرة، فسقط في نهر الفرات وغرق، فأصبح ابنه حميد قائداً للجيش واستطاع إلحاق الهزيمة بالجيش الأموي ومن مدينة قم توجه إلى الكوفة مع أخيه الحسن وابن عمه عبد الحميد الطائي وظهروا أبا العباس السفاح من مخبئه وبايعوه بالخلافة<sup>(٣٠)</sup>. وأصبحت خراسان والعراق تحت سيطرة العباسيين وبقيت الشام ومصر والحجاز فانتدب أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن علي وواعده بأن يكون الخليفة من بعده وكان حميد بن قحطبة وابن عمه (عبد الحميد الطائي) من جملة القادة الذين كانوا معه.

في سنة ١٣٦ هـ توفي أبو العباس السفاح وأعلن المنصور بأنه الخليفة بعد أخيه فدب الخلاف بينه وبين عمه (عبد الله بن علي) فبايع (حميد بن قحطبة وعبد الحميد الطائي) عبد الله بن علي على أنهم سمعوا أبا العباس يوصي بالخلافة لم يذهب لقتال الأمويين في الشام، فكان عبد الله بن علي قد تصدى لقتالهم<sup>(٣١)</sup>. فأرسل المنصور أبا مسلم الخراساني لقتال عمه عبد الله وطلب منه الحسن بن قحطبة بعد أن استدعاه من أرمينية أن يساند أبا مسلم، في حينها دب الخلاف في جيش عبد الله فالتحق حميد بن قحطبة بجيش أبي مسلم وكان عبد الله بن علي قد فتك بمن كان معه من أهل خراسان فقتل منهم ألفاً وقال له عبد الحميد الطائي: إن أردت أن يصفوك الأمر فاقتل أهل خراسان وأبدأ بي<sup>(٣٢)</sup>

وفي خبر آخر أن عبد الحميد هذا قد أقره عبد الله بن علي على دمشق ومعه أربعة آلاف، فثار عليه أهل دمشق وقتلوا الأمير أبا غانم عبد الحميد الطائي<sup>(٣٣)</sup>، وكلا الخبرين يدلان على أن عبد الحميد بن ربعي الطائي قد قتل في فتنة الشام بينما نجح حميد بن قحطبة والتحق بالمنصور وكان عبد الحميد الطائي قد خلف ولدين أحدهم يدعى (أحرم) أصبح فيما بعد قائداً عسكرياً ووالياً لهارون الرشيد على سجستان إلى توفي بها<sup>(٣٤)</sup>. والآخر يدعى (حميداً) والظاهر أن هذا الثاني كان في بطن أمه حين قتل أبيه فسمي حميداً ورباه (حميد بن قحطبة الطائي) للصلة التي كانت بينهم وللرفقة في القتال.

وعلى مر الأيام أخذت عائلة قحطبة بارتقاء المناصب الإدارية فضلاً عن القيادات العسكرية للجيش وكانت لهم اليد الطولى في قمع الثورات وإرساء الاستقرار لحكومة بني العباس وفي ذلك سفكوا دماء كثيرة وكانت حصتهم أن أصبحوا ولاة الأمصار وقادة الجيوش فهذا (الحسن بن قحطبة) قد استخلفه المنصور سنة (١٣٦هـ) على أرمينية، ثم استقدمه سنة (١٣٧هـ) لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي، وسيره سنة (١٤٠هـ) مع عبد الوهاب بن إبراهيم

الإمام في سبعين ألفاً إلى (ملطية) فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة (١٨١هـ) في ثمانين ألفاً فأوغل في بلاد الروم وسمته الروم (التنين) وتوفي ببغداد سنة (١٨١هـ) (٣٥).

وأما عن حميد بن قحطبة فقد ولي مصر سنة (١٤٣هـ)، ثم أصبح أميراً على الجزيرة، ثم أرسله المنصور لقتال محمد ذو النفس الزكية في المدينة وباشر بنفسه قتل محمداً كما ذكرنا ثم، انتدبه المنصور لقتال إبراهيم أخي محمد ذي النفس الزكية، وقد سمي أحد الأحياء باسمه حين بنيت بغداد باسم (ربض حميد) (٣٦) وأرسله المنصور في سنة (١٢٥هـ) لغزو كابل ومن ثم ولاءه في نفس السنة إقليم خراسان، وبقي عليها إلى أن توفي المنصور ثم أقره المهدي العباسي في منصبه إلى أن توفي وهو وال على خراسان. وكان له من الأولاد:

- عبد الله: أصبح والياً على خراسان بعد وفاة أبيه لبضعة أشهر (٣٧)، وكان من جملة القادة الذي قاتلوا مع الأمين ضد المأمون ثم انضموا إلى المأمون (٣٨).
- شبيب، كان قائداً لحرس المأمون وحاجبه (٣٩).

بعد هذه النظرة السريعة لتاريخ هذه العائلة نستطيع أن نقول أنها بذلت نفسها في تثبيت وإرساء حكم بني العباس ولم يعرف تاريخها سوى السيف وسفك الدماء وأنها من العوائل المقربة لخلفاء بني العباس (٤٠).

مما تقدم تبين ان هناك خلط بين شخصيتي حميد بن قحطبة الطائي وقريبه حميد بن أبي غانم الطائي لتشابه الأسماء ووجود هذه القرابة، مما جعل المؤرخون ينسبون ما قام به الأول للثاني وبالعكس، خصوصاً إذا علمنا ان هذه الضيعة كانت لحميد بن قحطبة قبل وفاته سنة ١٥٩هـ، بعد انهيار الحكم الأموي ثم أصبحت لحميد بن أبي غانم الطائي الطوسي، وقد مات بها الرشيد العباسي ودفن بها ولكن شهرة حميد بن قحطبة طغت على اسم الضيعة أكثر من غيره بالأخص على حميد الطوسي.

وخلاصة القول إن الإمام علي بن موسى الرضا قد توفي في سناباد في ضيعة حميد بن أبي غانم -عبد الحميد- الطوسي.

٣- فيما يخص النص الثالث، حدد الإمام الرضا أن قبره سيكون قبلة لقبر هارون الرشيد، بالرغم من محاولات المأمون الحثيثة ليكون والده متقدماً على قبر الإمام ولقد صدق دعبل بن علي حينما قال:

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرم هذا من العبر  
ما ينفع الرجس قرب الزكي وما على الزكي بقرب الرجس من ضرر

دفن المأمون الإمام الرضا في سناباد وواصل رحلته إلى بغداد ولكن عند مروره بمرجان اغتنم الفرصة فقتل محمد الديباج بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ليتخلص من آخر خصومه وبذا دخل بغداد مهتماً لعهد جديد من التوادد والتقارب مع أهل بيته العباسيين.

#### \* هوامش البحث \*

- (١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ١١٣/٥.
- (٢) السمعاني، الأنساب، ٢٦٥/٥.
- (٣) العاملي، محسن، أعيان الشيعة، ٢٣٣/٦.
- (٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٣/٧.
- (٥) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٢٣٤/١١.
- (٦) ابن الأثير، عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، ١٤٥/٢.
- (٧) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٢٦٣/٣، الطبري، محمد، تاريخ، ٥/٦.
- (٨) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٢٣٥/١١.
- (٩) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ١١٠/٥.
- (١٠) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٨/٣.
- (١١) المصدر السابق، ١١٢/٥.
- (١٢) الطبرسي، الفضل، إعلام الوري بأعلام الهدى، ٧٩/٢.
- (١٣) الصدوق، محمد، عيون أخبار الرضا، ١٩٧/١.

- (١٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٤٩٠.
- (١٥) المصدر السابق، ٣/٢٥٩.
- (١٦) الصدوق، محمد، عيون أخبار الرضا، ٢/٢٨.
- (١٧) المصدر السابق، ١/٢٦٩.
- (١٨) المصدر السابق، ١/١٤٨.
- (١٩) المصدر السابق، ١/١٤٧.
- (٢٠) المصدر السابق، ١/٢٧١.
- (٢١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ٢/٢٨٣.
- (٢٢) النمازي، علي، مستدرک علم رجال الحديث، ٣/٢٨٨.
- (٢٣) الأصبهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، ص ١٨٢.
- (٢٤) الطبري، محمد، تاريخ، ٦/٥٢٦، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ٢/١٤٠.
- (٢٥) تقع قرب عمان بالأردن، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٢٢/٣٠٧.
- (٢٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٩/٢٩٧، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ٥/١٩١.
- (٢٧) الزبيدي، محمد، تاج العروس، ١/٤٢٢، ابن منظور، محمد، لسان العرب، ١/٦٦٢.
- (٢٨) السمعاني، الأنساب، ٣/٤٩٨.
- (٢٩) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٢٢١.
- (٣٠) المصدر السابق، ٢٢٣.
- (٣١) الطبري، محمد، تاريخ، ٦/١٢٣.
- (٣٢) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/١٦٩.
- (٣٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٥٦.
- (٣٤) ابن خياط، خليفة، تاريخ، ص ٢٧٩.
- (٣٥) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ٢/٢١١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧/٤١٥.
- (٣٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/١٠٣.
- (٣٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٥/٢٩٠.
- (٣٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٢٥٦.
- (٣٩) اليعقوبي، تاريخ، ٢/٤٧٠.
- (٤٠) النجفي، سعد، اين دفن الإمام الرضا عليه السلام، مقالة في مجلة ينابيع، العدد (٢٣) ١٤٢٩هـ.

